القصص القرآني

سلسلة لقاءات قدمت في رمضان 1439 هـ

إبراهيم عليه السّلام

أ. أناهيد السميري

اللّقاء الأوّل

مدونة علم ينتفع به

www.tafaregdroos.blogspot.com

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله عزّ وجلّ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

مقدّمة:

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين، وأحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن، ومن أهل الإيمان الّذين انتفعوا بهذا الشّهر العظيم شهر القرآن، فهو مِنْ مِنَنِ الرّحمن، وعطيّة وفضل أن يجعل للعباد شهرًا يتفرّغون فيه لطاعته ويجتهدون في قراءة كتابه والانتفاع منه.

فهذه النّعمة العظيمة –نعمة القرآن ونعمة شهر رمضان– لا بدّ أن تُقابَل **بالصّدق** و**الاستبشار**، الصّدق بالعزيمة، فيكون العبد صادقًا في إرادة الانتفاع من هذا الشّهر، نهاره وليله في المسابقة لرضا الله. صدق العزيمة يتبعه الاستبشار، والاستبشار يأتي بانشراح الصّدر، ويأتي بالإقبال على الطّاعة.

فنسأل الله عزّ وجلّ أن نكون فعلًا شاكرين لهذه النّعمة، انتفعنا في ليلنا ونهارنا بها، ونحتسب على الله هذا المجلس نجلسه نتدارس فيه كتاب الله، أن يكون شيئًا من الاستبشار والانتفاع والعزم على التّقرّب الصّادق لربّ العالمين.

في هذه السّنة بأمر الله ستكون دراستنا دائرة حول **القصص في كتاب الله**، فالله الّذي تفضّل بكتابه قد نوّع فيه أساليب الوعظ وأساليب التّنبيه والتّبيين والإرشاد، ومن ذلك أنّ كثيرًا من الحقائق القرآنيّة ظهرت في القصّة القرآنيّة، فكانت ألطف على القلوب وأيسر في الفهم، وكان من السهل التّغنّي بها، فالّذي خلق هذه النّفوس هو الّذي أنزل القرآن واعظًا لها، وكان من هذه العظة أن يجعل كثيرًا من الحقائق محبوسة وراء القصة بصورة يسيرة سهلة.

والقصص القرآني تتضمّن الأخبار الّتي نقف أمام كلّ خبر منها ونقول: (حقّ، صدق، وقع كما قال ربّ العالمين)، فلكلّ قصّة قرآنيّة حقّ في عقيدتنا، نقف أمامها ونعتقد يقينًا أنّها حقّ وصدق.

وهذه القصص –الّتي نؤمن بأنّها حقّ وصدق– قد تنوّعت:

– فهي إما قصص الأنبياء مع أقوامهم، سواء الأنبياء قبل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أو أحداث خاصّة بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

– وإما قصص الأقوام من الأمم الغابرة سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، الصّالح منهم والفاسد، مثلا ذو القرنين، صاحب الجنّتين، قارون، كلّ هذه أخبار تدور حول شخصيّات فعلت إمّا ما يرضي الله أو ما يُسخط الله.

الأهداف العامة للقصص القرآني:

للقصّة القرآنيّة أهداف، لذلك تُخصّ بالدّراسة والعناية، ومن أهدافها:

- **زيادة اليقين بما أتت السّورة تُخبِر عنه.**

وذلك أنّ القصّة في السّورة تأتي شاهدة على موضوع السّورة، فلو أتينا مثلًا إلى سورة الشّعراء، سورة تدور حول استحقاق ربّ العالمين للعبادة، بل للإخلاص في العبادة، فهو ربّ العالمين، وهو إله العالمين، سنجد أنّ كلّ القصص الّتي في سورة الشّعراء أتت تؤكّد أنّ الأنبياء لمّا أُرسلوا لأقوامهم بيّنوا لهم هذه الحقيقة الفطريّة، حتّى أنّ موسى عليه السّلام الّذي هو أوّل نبيّ ذُكر في سورة الشّعراء لمّا أتى يحاجّ فرعون فإن فرعون بنفسه اعترف بهذه **الحقيقة الفطريّة** وهي: **استلزام الرّبوبيّة للألوهيّة**، واعترف أنّ من لم يشكر من ربّاه فقد كفر، وأنّ من ربّى فحقّه الشكر، والله ربّ العالمين فحقّه الشّكر لربوبيّته، فقال فرعون في سورة الشعراء: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[١] وفرعون رأي بالعقل الغريزيّ الفطريّ أنّه مادام ربّي موسى فكان الواجب شكره، ويلوم موسى أنّه فعل تلك الفعلة الّتي كانت صورتها أنّها كفر {وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[٢] فالشّاهد أين؟ أتت سورة الشّعراء تقول أنّ ربّ العالمين هو المستحقّ للألوهيّة، لماذا؟ لأنّ من ربّاك وجب عليك شكره، من أحسن إليك في تربيته وجب عليك الإحسان إليه في شكره، وشكر الله أولويّته.

وهذه القاعدة استسلم لها حتّى فرعون، لكنّه لم يجعلها مضطردة، فقد أوقفها في الموطن الّذي فيه مصلحته، ولذلك بقيت الآيات يسأل فيها فرعون {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}[٣] فيقول موسى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}[٤] {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ}[٥] فأتت القصّة شاهدة على موضوع السّورة تزيدك يقينا أنّ ربّ العالمين هو المستحقّ للعبادة، والدّليل كأنّه يقال اسمع لما دار بين موسى عليه السلام وفرعون، ثمّ تنتهي قصّة موسى وفرعون فيقال لك اسمع لما دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه، فلمّا يُعرّف إبراهيم عليه السّلام قومه بالحقّ يقول لهم: {أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ}[٦] فيصف ما كانوا يعبدون هم وآباؤهم، قال: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}[٧] ربّ العالمين مرّة أخرى {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ

[١] [الشعراء: ١٨_١٩]
[٢] [الشعراء: ٢٣]
[٣] [الشعراء: ٢٤]
[٤] [الشعراء: ٢٦]
[٥] [الشعراء: ٧٥]
[٦] [الشعراء: ٧٧]

(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} فتعود القصّة مرّة أخرى تأكّد أنّ ربّ العالمين الّذي فعل هذه الأفعال هو المستحق لأن يُشْكَرَ على هذه الأفعال، فيعبد، ويخلص له الشّكر، فيُؤَلَّهُ وحده سبحانه وتعالى.

فمعنى ذلك أنّ **القصّة في السّورة تأتي شاهدة على موضوع السّورة**، لكي يحصل لك زيادة اليقين، وإذا كانت القصّة في الخبر عن الأنبياء كما هو ظاهر معنا، في ركن الإيمان بالرّسل، عندنا هنا في سورة الشّعراء، مرّة ورود موسى عليه السّلام، ومرّة ورود ابراهيم عليه السّلام، ومرّة ورود نوح عليه السّلام، والأعراف وغيرها من السّور يتكرّر فيها خبر الأنبياء.

- **بناء ركن الإيمان بالرسل والاستعداد للشهادة يوم القيامة على الأمم أن كل نبي قد بلغ الرسالة لقومه:**

فخبر الإيمان بالرّسل، بالإضافة إلى أنّه يزيدنا يقينا لموضوع السّورة، فإنّه يبني في أنفسنا ركن الإيمان بالرّسل استعدادًا للشّهادة مع الأنبياء، فإنّه كما ورد في البخاري، قال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ((يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ)) صلّى الله عليه وسلّم ((وَأُمَّتُهُ)) بمعنى أنّ أمّة الرّسول صلّى الله[٢]عليه وسلّم تكون شاهدة، قال: ((فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ)).

وفي رواية أخرى –غير الصحيح– يقال: ((وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ)) فبذلك تأخذ القصّة القرآنيّة عن الأنبياء خصوصيّة عن بقيّة[٣]القصص بحيث **أنّ كلّ نبيّ يُفَرَّغُ له في الفؤاد مساحة كافية للعلم عن خبره، واليقين به، والمعرفة التّفصيليّة**، استعدادا للشّهادة وإيمانا بأنّنا سنجتمع مع كلّ الرّسل ويقينا أنّه جاءنا رسول بكتاب أخبرنا أنّهم قد بلّغوا فصدّقناه، فيكون موقفنا **موقف المُستعدّ للشّهادة**.

فكلّ القصص القرآنيّ أتت شاهدة على:

- صدق الأحداث.

---

[١] [الشعراء: ٧٨_٨١]

[٢] صحيح البخاري _ كتاب تفسير القرآن _ باب قوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء..} _ حديث رقم 4240.

[٣] سنن ابن ماجة _ كِتَابُ الزُّهْدِ _ بَابُ صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ حديث رقم 4319.

- وصدق الأخبار.
- وصدق العقائد.
- وصدق النّتائج الّتي أخبر الله بها.

والقصّة القرآنيّة فيها خبر عن قصص الأنبياء فيأخذ هذا الجزء خصوصيّة، فاهتمامنا به يكون أعظم من جهة استعدادنا للشّهادة مع نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم.

ومن أهداف القصة القرآنية:

١. معرفة الأعمال القلبيّة وضبطها من خلال القصّة القرآنيّة:

هناك أهداف كثيرة أيضًا من دراسة القصّة القرآنيّة، وخاصّة **الدّراسة التّحليليّة** الّتي نعتني فيها بتفاصيل القصّة، وبدلالة التّعبيرات الّتي أتت في القصّة، وهذا حقّ للقصّة القرآنيّة لأنّها على اختصارها فإنّها تحمل من العبادات القلبيّة، والأعمال القلبيّة الشّيء الكثير.

فمثلًا تسمع في كتاب الله عن خوف موسى عليه السّلام، وعن ندائه لربّه ما إن يخاف، وعن صدق لجوئه إلى الله، {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} فتسمع عن العبادات القلبيّة، وعن الأحوال القلبيّة، من الخوف والرّجاء كيف لمّا خاف من شأن في الدّنيا لجأ إلى ربّ العالمين، {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} يخاف مثلما كلّ النّاس يخافون، الفرق أنّه بعدما خاف قال: {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} توجّه إلى غاية، لكن ما يعرف الطّريق فيها، قال: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} وصل إلى الغاية قال: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} فهو مع ربّه دائمًا، وهذا يضبط حركة القلب: **من ترجو؟ من تسأل؟ من تخاف؟**

نحن نقرأ القصص القرآنيّ وخاصّة قصص الأنبياء ونرى معاملة الله لخلقه، وهذه فائدة مهمّة، فكما أنّ القصّة القرآنيّة تضبط الأعمال القلبيّة، تصفها وتضبطها، ويقال لك كن مثل موسى عليه السّلام ما إن يخاف إلاّ ويرجو الله أن يزيل عنه خوفه، وما أن يعزم إلاّ ويرجو الله أن يعينه ويهديه في عزمه، كن مثل موسى عليه السّلام ولا تكن مثل ابن نوح لمّا

[١] [القصص: ٢١_٢٤]

رأى الطّوفان ظنّ بقلب فاسد، وعقل فاسد، أنّ الجبل يعصمه من الماء، فإلى أين يتحرّك قلبك؟ بمن تتعلّق؟ من ترجو؟ ومن تسأل؟

هذا كلّه إنّما تقرأه في القصّة، وتلحظه فتتغنّى به، وتكرّره على نفسك.

٢. معرفة الله عزّ وجلّ ومعاملته لخلقه:

وتعرف أيضًا الله ومعاملته لخلقه، فإذا أخذنا مثالًا قصة أمّ موسى عليه السّلام كيف قال لها الله عزّ وجلّ: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ} ثم قال سبحانه وتعالى {فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ} فانظر كيف تدبيرُ الله {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} يعني حصل جبرًا[٢] لخاطرها {وَلَا تَحْزَنَ} حفظًا لمشاعرها، {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} زيادة لإيمانها،[٤]فهذه تدابير الله، هذه معاملة الله، هذا لطف[٥] الله، هذه عناية الله، هذه رعاية الله.

يقول الله لمريم عليها السّلام كما في سورة مريم يطمئنها {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا} فيُذهب اكتئابها، ويزيد ثقتها بربّها، هكذا يُعامل الله خلقه.

فالجاهل هو من قرأ كتاب الله فخرج لا يعرف الله وقد كرّر الله عزّ وجلّ عليه في كتابه أنّه هكذا يعامل أولياءه، هكذا يعامل أعداءه، هكذا يلطف بعباده، هكذا يمكر بالماكرين، هكذا يكيد الكائدين، فلا ترسب في الاختبار، ولا تثق بغير الله، ولا تطلب من غير الله، ولا ترجو غير الله.

فعلى هذا يكون من أهداف القصّة، كما أنّها ترشدنا في الأعمال القلبيّة والحركات القلبيّة، كذلك فإنّها تُعرّفنا بربّ العالمين في معاملته لخلقه، فتكون هذه المعاملة حيّة حاضرة، تقول لنفسك: ها هي أمّ موسى قد ابتليت ابتلاء عظيمًا بأن تُؤمر أن تلقي هذه اللّحمة الصّغيرة الّتي لا حول لها ولا قوّة في اليمّ!! فما هي صانعة؟ وكيف تُلهَم؟ وتُثَبَّت؟ وتُوعَد؟ فَيُدَبَّر لها ألطف تدبير! ويعود لها وليدها في أحسن حال ! كيف يُحرّم عليه المراضع من أجل أن ترضعه هي؟! كيف تُبتلى

---

[١] [القصص: ٧]

[٢] [القصص: ١٣]

[٣] [القصص: ١٣]

[٤] [القصص: ١٣]

[٥] [القصص: ١٣]

[٦] [مريم: ٢٦]

هذه الابتلاءات من أجل أن تنفعك؟ هكذا يُعَامِل الله خَلقه، فتقرأ في القصّة القرآنيّة أحداثا تعرّفك كيف يعامل الله خلقه.

٣. تصوّر النّهايات من البدايات:

أيضا من الأهداف الّتي نجدها في القصّة القرآنيّة، أنّنا نتصوّر النّهايات من البدايات **ونتيقّن بذلك حتّى لو ما أدركنا النّهايات**.

نوضّح ذلك بمثال ثم نكرّر القاعدة، لو نظرنا مثلًا إلى قصّة يوسف عليه السّلام وكيف وقع إخوته في كيد الشّيطان فنزغهم فكادوا لأخيهم، لقد اجتمعوا على كيد فماذا ينتظر لمن كادوه؟ فهؤلاء عصبة اجتمعوا على كيد **فدبّر الله من كيدهم هذا ما ينقض كيدهم**، فمن كيدهم نُقض كيدهم، ومن مكرهم نُقض مكرهم، ومن خِداعهم نُقض خِداعهم، فها هو الشّيطان قد أغراهم بأنّهم لو ألقوه سيخلو لهم وجه أبيهم، وسيكون محبّا لهم، راغبًا في معاملتهم، خالي الوجه لهم، فهذا المقصد الّذي من الكيد عوملوا بضدّه تمامًا، وتصور كلّ شأن بنفس الطريقة، البداية أنّه كاد، النّهاية أنّه سيُنَاقض قصده، وسيصل كيده لعكس مقصوده تمامًا.

قصدوا حسدًا إزالة يوسف عليه السّلام، فرفعه الله وعلاّ مقامه كما نعلم جميعًا في القصّة، فماذا يُراد أن يُقال لك؟ يُقال لك: أنّ من كاد عومل بنقيض قصده، فأنت في مبدأ المسألة تنظر إلى قوم يكيدون، أمام موقف النّاس يكيدون، ماذا تعتقد؟ قبل أن تعيش إلى نهاية القصّة، عشت أو لم تعش، علمت أو لم تعلم، سيُعاملون بنقيض كيدهم، وفي كلّ مرّة تَمْكُر فلتعلم أن مَكرك سيعود عليك، كان هذا اليوم أو كان هذا بعد سنين.

لكن في القرآن عرفت أنّ الماكرين يمكر الله بهم، وأنّ المخادعين يخادعهم الله، وأنّ الكائدين يكيدهم الله، والقصّة أتتك شاهدة على ذلك، كلّ من خالف أمر الله لابدّ أن يكون حاله كما وصف الله من الخذلان ومن الفضح، ولو فكّرنا مثلًا في قصّة أصحاب الجنّتين كيف أغناهم الله ومتّعهم، فما كان منهم إلاّ أن يجتمعوا على منع النّاس الخير، عقدوا العزم على ذلك، فهذه قصّة عجيبة، وباتوا ليلتهم عاقدين العزم فكان جزاءهم كما نعلم: {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ}[1] فلمّا بيّتوا شأنًا لا يُرضي الله عاملهم الله عزّ وجلّ بما قام في قلوبهم.

[1] [القلم: ٢٠]

فبالإضافة إلى أنّك عرفت الله وعرفت معاملته لخلقه، سيظهر لك الآن إذا كانت هكذا البداية، فستكون هكذا النّهاية، إذا **ابدأ بالخير ستكون النّهاية له بالخير**، وإذا بدأ بالمكر والكيد ستكون النّهاية له كما وصف الله في كتابه.

وكأنّ الإنسان يقول لنفسه طوال الوقت: لا تنسى مكر إخوة يوسف وجزاءهم، ولا تنسى كيد أصحاب الجنّتين وجزاؤهم، وإذا نظرت لإخوة يوسف، فانظر إلى يوسف وصبره، وتقواه، وإحسانه وجزاءهم.

وإذا نظرت إلى أصحاب الجنّتين انظر إلى أوسطهم وكيف كانت مقاومته وكيف كان حاله لمّا ضَعُفَ فكان معهم، لكن ما إن أتى البلاء فهموا جميعهم الأمر .

٤. معرفة صفات النّقص البشري وصفات الكمال البشري المؤثّرة في سلوك الإنسان:

وهكذا تأتينا فائدة مهمّة وهي معرفة صفات الإنسان: نقصه، وضعفه، وأيضًا ما رزقه الله من قوّة للمقاومة، فها نحن نسمع عن إبراهيم عليه السّلام ننظر إليه كالنّجم يُقتدى به، وها نحن ننظر إلى قارون، وطمعه، وانبهار الناس به، كيف أمام قارون تأتي صفات النّقص البشري، وترى أيضًا أثر العلم على النّاس، لأنّه لمّا خرج قارون {عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} فهؤلاء الذي يريدون الحياة الدّنيا استسلموا لهواهم فساروا معه وانبهروا بهذه الحضارة الّتي يملكها قارون فقالوا: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[١] وفي المقابل فالّذين أوتوا العلم انظر كيف هذّبهم العلم، وأدّبهم، وجعلهم ينظرون إلى الحياة بالطّريقة الصّحيحة {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ}[٢] وهات الشّروط لتعلم أن ثواب الله خير أو لتكون ممّن أثابهم الله فقالوا لهم: {ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}[٣] لا تستعجل ولا تنبهر فالخاتمة قريبًا ستراها، ولذلك لمّا قال: {وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} قال الله عزّ وجلّ مباشرة {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}[٤] يعني أنت لمّا تسمع القصّة تعلم أنّ هذه الحضارات مثلها مثل قارون ترتفع وترتفع، فيها منبهرين جدّا بها، {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} الّذي لا ينبهر بها ليس متخلّفا ولا رجعيّا، وليس زاهدًا في الدّنيا، لا، وإنّما علم الحقيقة، فهمها طال الأمد أو قصُر فإنّ حضارة بُنيت على باطل ستكون نهايتها كنهاية قارون {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} هذا لابدّ.

---

[١] [القصص: ٧٩]

[٢] [القصص: ٨٠]

[٣] [القصص: ٨٠]

[٤] [القصص: ٨١]

فانظر إلى النّقص البشري كيف تطمع، تحبّ الدّنيا وتنبهر بها، وكيف أن المؤمنين الّذين أوتوا العلم يعرفون أنّ هذه الدنيا لا تستحقّ ولذلك {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} الآن عرفوا كيف هو الله؟ وكيف يعامل عباده؟ يبسط الرّزق [١] لمن يشاء ويقدّره أو يضيّقه على من يشاء، فليس مبسوط الرّزق مرضيّ عنه وليس المقدّر عليه مسخوطًا عليه، بل انظر إلى **حقيقة الأعمال ولا تنظر إلى البهرجة الّتي حولها**.

فهكذا نرى من خلال القصّة صفات الإنسان كيف أنّه ينبهر ما دام ليس معه العلم، وكيف أنّه لا يستطيع أن يُقيّم حقيقة المسائل ما دام ليس معه علم، لكنّ العلم يُعيد للإنسان قُواه، فيجعله يستطيع أن يُقيّم المسائل ويضعها في مكانها، فلا تعجب من المُنبهرين، هؤلاء ينقصهم علم، وأنت سيكون موقفك كما في النّقطة السّابقة: من البداية تتصوّر النّهاية، فلمّا تعرف صفات الكمال البشريّ وتعرف صفات النّقص البشريّ وكيف يأتي الكمال من العلم واليقين، وكيف يأتي النّقص من الاستسلام للهوى، والمحسوسات والفرح بالدّنيا، فإذا عرفت هذا وهذا عرفت كيف تعالج؟ وكيف تُصلح؟ وكيف تنفع المؤمنين المسلمين الّذين ضعف إيمانهم وقلّ يقينهم، وزاد انبهارهم؟ تعرف كيف أن نشر العلم شأنه مهمّ؟ وهكذا.

ليس المقصود الآن الإقصاء فقط، نريد أن نتصوّر كيف أنّ القصّة القرآنيّة تكشف لك حالة النّاس من الضّعف؟ وتكشف لك كيف أنّ الله يقوّي المؤمنين فيصلون إلى الكمال البشري؟

٥. حبس مشاعر الولاء والبراء:

في القصّة القرآنيّة تحبس مشاعرك وتعرف كيف تحبّ؟ وكيف تبغض؟ كيف تحبّ موسى عليه السّلام وهارون وتبغض السّامري؟ كيف تحبّ موسى وهارون وتبغض فرعون وتبغض عبدة العجل؟ كيف تحبّ موسى وأمّه؟ كيف تحبّ عيسى وأمّه؟ زكريّا؟ ويحيى؟ فيحصل في قلبك من حبس مشاعر الولاء لهؤلاء الكرام الّذين أثنى عليهم الله، وأحبّهم الله، وأحبّ منك أن تحبّهم، وكيف تبغض أعداء الله، وتتقرّب إلى الله بهذا البغض؟

كيف لمّا تفكّر في الفتية أصحاب الكهف؟ أو مؤمن آل فرعون؟ أو المؤمن في قصّة ياسين؟ كيف لمّا تفكّر في هؤلاء رغم أنّهم مجهولين فلا تعرف عنهم إلاّ صفات، وبعضهم قد لاتعرف عنهم أسماء أو تفاصيل عن أحوالهم، لكنّك تحبّهم لما لهم من مقامات في الإيمان والدّفاع عنه.

[١] [القصص: ٨٢]

فكم للقصّة من أثر في صناعة مشاعر الولاء والبراء، وهي ممّا يُتقرّب بها إلى الله.

لـمّا تقرأ مثلًا في سورة التّوبة: الرّجل الّذي يأتي للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويقول له {ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي}[١] وكيف ترى فيه الخُبث والكذب وعدم الصّدق فيقع في قلبك بُغضه، في المقابل أنّك تقرأ في نفس السّورة عن الثّلاثة الّذين خُلّفوا فلم يحكم عليهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتُركوا لأمر الله، كيف كان حالهم؟ وكيف كان حزنهم؟ وكيف ابتُلوا؟ فتحبّ هؤلاء، وتبغض ذلك المنافق، مع أنّهم في موقف واحد! المنافق كذب قال: {ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي} والثّلاثة الّذين خُلّفوا صَدَقُوا، تحبّ هؤلاء، وتبغض ذاك، فهذه المشاعر كلّها قُرْبَى إلى الله.

٦. التغنّي بالكلمات التي وردت في القصة القرآنية:

آخر ما نقول في هذه النّعمة العظيمة، نعمة القصّة القرآنيّة، لابدّ أن نشعر كم أعطانا الله من زاد في القصّة، فنتغنّى بها.

نتغنّى بالكلمات الواردة في القصّة: فكم تسمع النّاس يقولون: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ}[٢] وكم تسمع: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[٣] كم تسمع هذه الكلمات تردّد على ألسنة النّاس يتغنّون بها، **وكلّما زادت معرفتنا بالقصّة القرآنيّة زاد تغنّينا بجُملها**، فلاحظوا كيف أنّ هاتين الجملتين كثيرًا ما تتكرّر على ألسنة النّاس بسبب أنّ النّاس متعلّقين بقصّة يوسف عليه السّلام، ويسمعونها كثيرًا ويرون أنّها في الأحزان لها أثر، وهذا صحيح، فتراهم يتغنّوا بألفاظها.

فإذا فتح الله على النّاس المؤمنين وأرشدهم إلى الخير، وتعرّفوا على القصّة القرآنيّة، ستجد التّغنّي بجُمَل القصّة القرآنيّة كثيرًا على الألسنة، فيتمثّلون أنفسهم يعقوب عليه السّلام وحزنه، أو يوسف عليه السّلام وصبره، وإذا زادوا معرفة يتمثّلون أنفسهم بأمّ موسى وخوفها، أو موسى عليه السّلام وخوفه، أو إبراهيم عليه السّلام وثباته.

فكلّما زادوا معرفة بالنّصوص تغنّوا بألفاظ القرآن، وتغنّوا بالجمل القرآنيّة، الّتي تحملها القصّة، ويتمثّلون أنفسهم أولئك الصّابرين، أو أولئك الخائفين، أو أولئك الرّاجين، أو أولئك الثّابتين، أو أولئك الرّاضين، فسبحان كَمْ لله علينا مِنْ منّة بهذا الكتاب!

---

[١] [التوبة: ٤٩]

[٢] [يوسف: ١٨]

[٣] [يوسف: ٦٤]

ماذا كنت ستقول وأنت في حزنك وألمك لو ما أخبرك عمّا قاله يعقوب: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ}؟!

ماذا كنت ستقول لو وصلت في موقف كما وصل إليه يوسف عليه السّلام وقد جاءه إخوته وكان في موقف العافي عنهم فما تجده إلاّ يقول: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} [1] ؟ ماذا كنت ستقول لمّا تريد أن تعفوا عنهم؟ ماذا كنت ستسمّي الحال الّذي حصل بينك وبينهم؟

سبحان الله فكلّ هذه الاعتصارات الّتي تمرّ بها في الحياة قد أتى في القصّة القرآنيّة شخصيّة تمثّل حالة من الحالات الّتي يمرّ بها النّاس، لكن يا ليت قومي يعلمون؟!

لذلك **كان من المفروض أن نوفّر كلّ أوقاتنا وجهودنا على استخراج هذه الكنوز من كتاب الله**، وعلى الاستغناء بالقرآن عن غيره، قراءة، وفهمًا، وتلذّذًا، ثمّ بعد ذلك تأخذ الأشياء طعمها، حتى لو أصبح ذوقك رفيعًا تذوق فيه معاني كلام الله فيصبح بعد ذلك الكلام الثّمين له طعم.

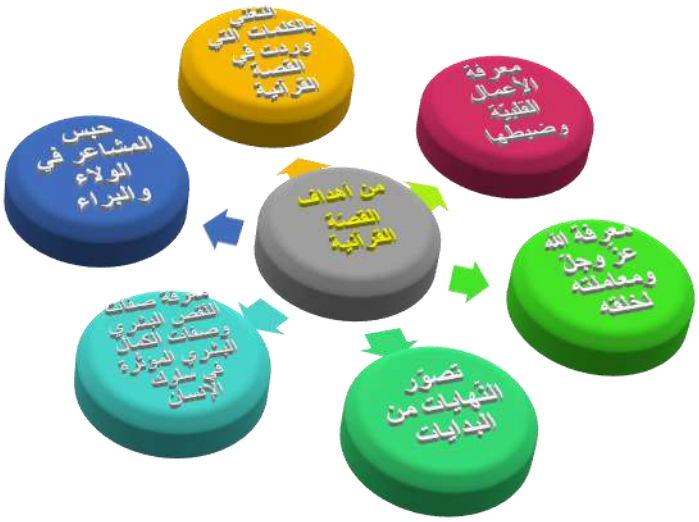

على كلّ حال سنشرع في لقاءاتنا هذه بدراسة **قصّة ابراهيم عليه السّلام** قاصدين بذلك _ نسأل الله عزّ وجلّ أن يُتمّم لنا قصدنا _ المرور على جميع المواطن الّتي ورد فيها ذكر ابراهيم عليه السّلام، قصّة، وخبرًا، راجين أن نخرج من هذا الشّهر الكريم **وقد بُنِيَ لإبراهيم عليه السّلام في قلوبنا بيتًا، نتقرّب به إلى ربّ العالمين**، بحيث أن نصل في حبّه صلّى الله عليه وسلّم، إلى درجة أن نشعر كيف هو خليل الرّحمن؟ وكيف أنّه شارك نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم في مرتبة الخُلّة؟ كيف أنّنا نقول في صلاتنا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم؟

[1] [يوسف: ١٠٠]

فنسأل الله عزّ وجلّ أن يعيننا على مقصودنا، وأن ييسّر لنا أمورنا، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، اللّهمّ آمين.

كلمة مفيدة في آخر اللقاء للشيخ سعود الشريم حفظه الله:

في نهاية اللّقاء أريد أن أُسْمِعُكُم كلمة جميلة للشّيخ الشّريم حفظه الله تنفع بأمر الله في استقبال هذا الشّهر، نسأل الله عزّ وجلّ أن يرزقنا صيامه وقيامه على الوجه الّذي يُرضيه، وأن ندخل له بالإيمان، وأن يجعل كلّ يوم سببا لزيادة الإيمان وأن نخرج منه وقد أصبح الإيمان جبالا عظيمة في قلوبنا.

"فعجبًا لمن يقنَط وعنده لا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله! وعجبًا لمن يقلَق وعنده لا حول ولا قوّةَ إلاّ بالله! وعجبًا لمن استثقَلَ شيئًا أو استبطأَه وعنده لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله! ألا والله وبالله وتالله إنّ ذلكم لَهُوَ التَّفْرِيطُ بِقَضِّهِ وَقَضِيضِهِ" [١] .

إذًا هذه الكلمة العظيمة _ لا حول ولا قوّة إلا بالله _ في هذا الموقف العظيم وهو موقف طاعة الله، من أعظم الكلمات الّتي تُرَدَّدُ وأنت تُقبل على الطّاعة: **لا حول ولا قوّة إلا بالله.**

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان، أهل التّقوى، أهل القرآن، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

[١] الشيخ سعود الشريم _ خطبة الجمعة – مكة – ١٥ – ٧ – ١٤٣٧ هـ _ عنوان الخطبة: فضل لا حول ولا قوة إلا بالله.